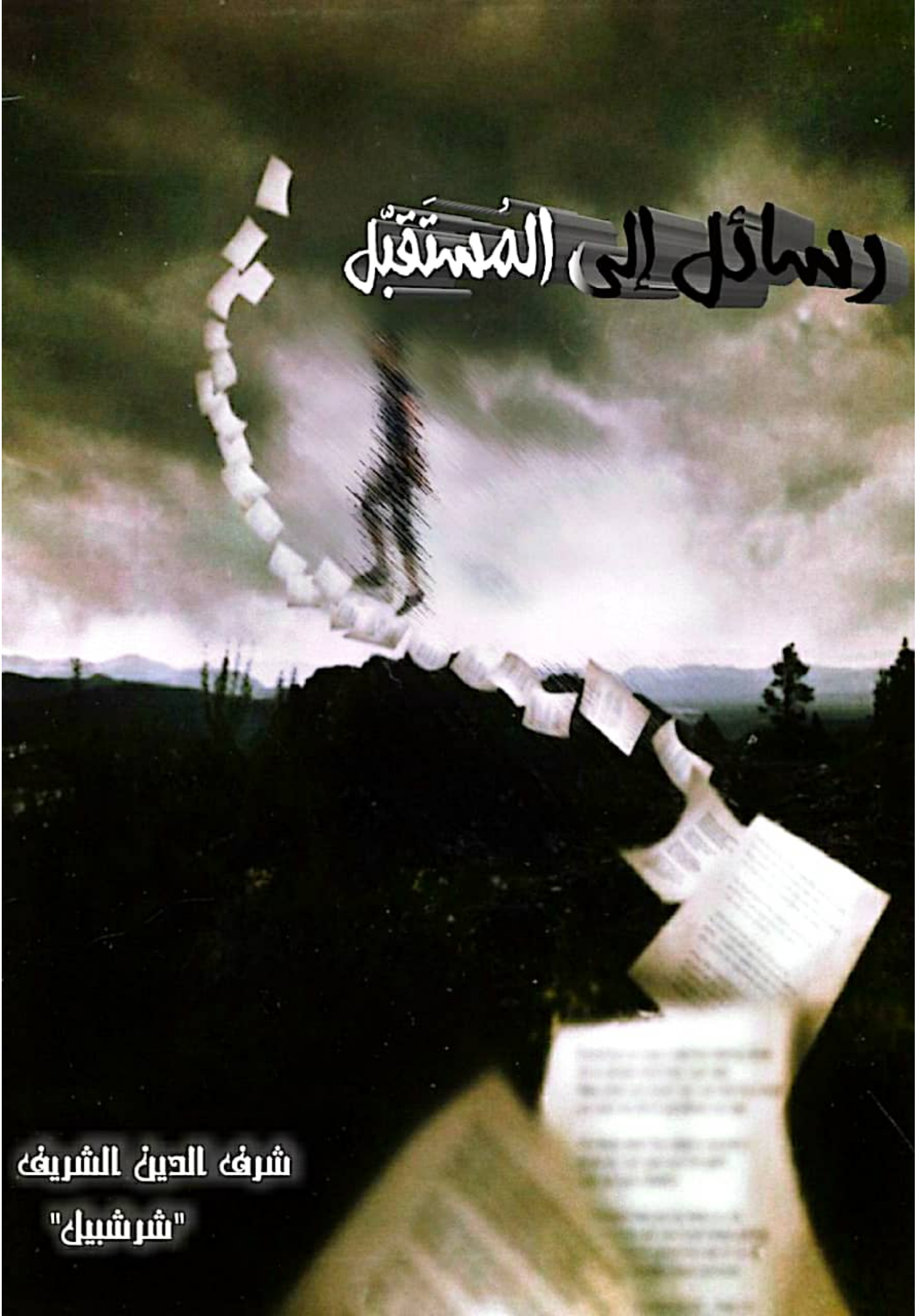
رسائل إلى المُستَقبَل
شرف الدين الشريف
"شرشبيل"

٢٠٢٣م

ت/ 739365948

رسائل إلى المستقبل

شرف الدين الشريف

https://t.me/shrshabill

الإهداء

إلى من قالت لي ذاتَ مرةً:

" لمنّ تكتُب ومَن سَيقرأ! الجوعُ أكلَ المواهب "

أستاذتي، الشاعرة.. والكاتبة

«عفاف المعمري»

أهدي هذا الكتاب

أنتم المستقبل ونحنُ الحاضرُ الماضي!

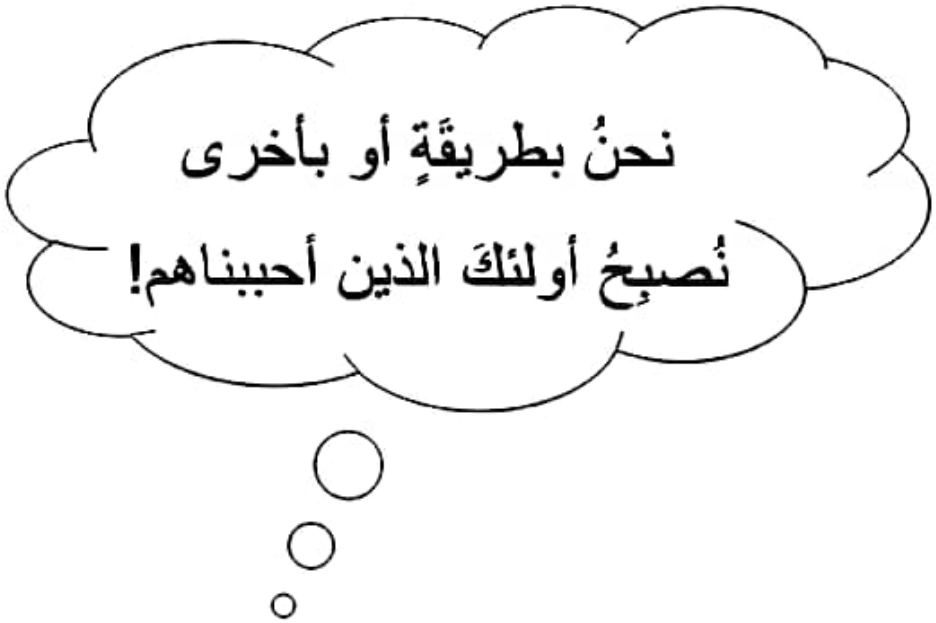

_ أدهم شرقاوي

إلى المستقبل البعيد، إلى أحفادي الأعزاء، إلى بناتي الجميلات شبيهات القمر. إلى دمي الذي مازال ينبض فوق هذه الأرض. إلى شجرتي التي مازالت تورق بعد كل خريف. إلى أحلامي المخطوطة على الورق، وأصبحت الآن حقيقة. إلى سلالتي وأجزاءُ روحي، إلى من كنتُ أنا فأصبحتُ انتم. سلامٌ الله عليكم ورعايتهُ وبركاتهُ أهلَ بيتي الوارثون دمي وملامحِ الروح. أتمنى أن تكونوا سالمين القلوبِ والأجسام، آمنين وسعيدون في الديار. أتمنى لكم كل السعادة والأمان. من هنا! من الماضي البعيد أرسلُ إليكم قُبلاتي والشوق مع كل حرفٍ ونص إلى كل فرد منكم يا أحبائي.

يقولون عني أنني أنا ذلك الفتى المشاغب، وصاحب النفس الكبيرة، والشـــاب الذي يرى الحياة فرح ولهو وسـعادة، الغير مسؤولٌ عن مشاكلها وعن مستقبل حياتهِ وقضـــاياها. وربما أنا كما يقولون! ولنا حديثٌ عمن اكون.

أبلغ من العمر أثنـان وعشـــرون ربيعًا، وألفٌ من الأحلام، وحبٌ واحدٌ، والكثيرُ من الخيال والحرف، تحرر من طفولته ولا يتمنى العودة، ولو خيرت بين التقدم والرجوع عشـــرة أعوام لخترت الشـــيب على الطفولة. نعيشُ في زمانٍ تســـعمون عنه بالكثير من القصـــص.. وطننا الذي يحبه الجميع، وبلادنا التي نعشقها كثيرًا.

هل وصـــلَ إليكم حديثُ تلك الكاتبة التي تســطر من دمها في حب بلادها وشـــعبها التهامي العريق، لقد تخلت عن أحلامها لأن ذلك الوطن لم يعد يحتملُ مزيـدًا من المحبين والرائعين، قـالـت: "لمن أكتـب ومن ســـيقرأ فالجوع أكلَ المواهب" ولكنها أحبتهُ! أحبته بحلمٍ و دون حلم.

وعن خبرِ ذلك الطالب ذو العشـــرين من العمر لقد أغترب بعيدًا عن وطنهِ لأن بلادة الحبيبة تصـــيح وهي تبكي لا قدرتَ لي على أطعامك، فيقول لها وعداً سأعود ولو بعد حين.

مررتُ يومًا بطفل يبكي، ســـألته مآبك قال كرهتُ الحياة، مآبك يا عزيزي أنت لم تعرف الحياة بعد، فلما البكاء!

صـــديقتي طارت فرحًا وأخيرًا أشـــترى لها والدُها ســـيارة، ولكن لمن يكن هناك الوقتُ الكافي ليعلمها القيـادة، فقـد هجروا بلادهم مفزوعين، للســـلامـةِ بـأرواحهم، تـاركين كل شـــيء وراءهم. وبعد أيـامٍ خرجت للســـيارة أجنحة فطارت بعيدًا، وطار حُلمها حينها. والكثيرون أمثالها يموتون قبل نزول الأجل، تموت أحلامهم، تموت رغبتهم في العيش، يتمنون لو يســافرون بعيدًا ربما يرون الأمان، أو يحققون ما يرغبون بــه، في بلادٍ تتبنى الأطفـالَ المبـدعين، وتســـاعد المحطمين على جدران الحياة، وتشـــجع الرســـامـات المـاهرات، وتعطي الأمـلَ لفـاقـديـه. وطننـا الحبيـب الـذي ترى فيـه الـدكتور الجـامعي مبتسمًا وليس لديه ما يوصله إلى بيته.

أترون كم نحن سعداء وكم نحب بلادنا.

قولوا ليَّ الآن هل صرتم أجملَ وأقوى؟ وتستطيعون فعل ما تحبون، وتصنعون ما تشاؤون، وتسافرون عندما تريدون، لا عصبيات تهدد الاستقرار ، ولا حروبٌ تخافون فيها على أحبابكم، ولا ترون طفلًا في الشوارعِ يطلبُ لشراءِ قارورة ماء لأخوتهِ الجائعين.

هذه السلسلة من الرسائل التي
سأحكي لكم فيها عن هذه الحياة.
{١٥|١|٢٠٢٣}

١- ســـأبدأ فيها من النهاية فإن عرفت نهاية الأمر، كانت البداية أكثر وضـــوحًا. إن عرفت المراد الذي يكْمنُ في النهايات، ســـتعرف كيف تســـير في ذلك الطريق. ففي النهايات ســـتتمنى أن تعود إلى بداية الطريق لتصـــلح أخطاءك. لذلك ســـيكون أول حديثٍ لي حول نهاية المطاف! تذكر يا حبيبي أن لا أحد ممن تعرفهم يقول الحقيقة كاملةً! حتى أنا جدك الذي تشتاق لرؤيته، الجميع يحاولُ أن يكون الحق معه، لا أن يكون هو مع الحق. فنحن البشـــر متقلبون الآراء متحولون أمام كل شـــخص وجهٌ آخر. نتصـــنع منه الود، والحب، والكلام، هي كهذا الحياة؛ فحاول أن تكون أنسانًا صادقًا ولا يكفي الصدقُ في ذلك فقط!. فأحيانًا قد يتحول الصـــدقُ إلى غرورٍ وكبر، فكن صـــادقًا ذو خُلق.. تُجيد الاختيار المناســـب لســـؤال المناسب.

لأقول لك ماذا هناك في النهاية! نهاية الطريق الطويل.. ثم سنأتي إلى نهايات كل تلك الطُرق القصيرة.. التي ستمرُ بها يومًا ما. هناك شئٌ اسمه أبديّ.. شئٌ لا نهايةَ له! إما جنةَ إلى الأبد! أو نارٌ إلى الأبد! أتعي ما أقوله لك يا بني!! تقول لي هي ليس سوى كلماتٌ من حروف موضوعةً في سطور، خذ نفسًا عميقًا ورددها مجددًا جنةَ إلى الابد، أو نارٌ إلى الأبد. لا طريق بعد تلك الأماكن ولا نهاية لها. هذه هي النهاية فإن عرفتها عرفت كيف تسير في هذا الطريق.

- كن موقنًا يا بني بأن الذي رسمتَهُ في قلبك وعقلك، واخترت أن تكونَ مع أتباعهِ وحزبه. إياك! إياك يا حبيبي، أن تتهاون في تلك الأمور الصغيرة. فالأمراضُ لا تقتلَ الإنسان من فورها. وإنما لها أعراضٌ وعلامات تدريجية يشعر بها غالبًا فيكونُ متيقظًا لها. فكن يقضًا فطنًا يا بني لتلكَ الفيروسات الشيطانية، كن لها حاجزًا ككرياتِ الدمِ البيضاء في جسمك ودمك.

- مرحبًا مجددًا حبيب جدك،

فأما نهايات الطُرق القصـــيرة فإنها متغيرةُ الأهداف والغـايـات. إليك إحدى تلك الطُرق: طريق الوحدة! تظن نفســـك وحيدًا لا أحد بجانبك وكل أولئك الناس هنا من حولك ولكنك بمفردك تُحاربُ الأشـــباح! إن ذلك الطريق له نهاية ســـتكتشـــف حينها أنك لم تكن بمفردك ولم يتخلَ عنك أحد. كان عليك أن تسلكَ ذلك الطريق لكِ تتعرفَ على شـخصـكِ المكمون في ذاتك المتروك وحيـدًا في أعمـاق حيـاتـك وروحـك. تلـك الفترة التي سـتعيشـها يجب عليك أن تتعلم منها كيف تكونُ صـديقًا لنفسـك ورفيق لروحك. في بداية الأمرِ سـيكون صـعبٌ عليك بعض الشـيء. في هدوء ذلك الليل والجميع في سُـــبات عميق، وأنت بمفردك لا تســـتـطـيـع الـنـوم تـتـقـلـبُ يـمـيـنًـا ويســـارًا مرة على ظهركَ ومرة على بطنك، وعقلكَ يفكرُ ولا

تدري فيما هو صـــافن، ولا جدوى في تلك الفترة من الطمأنينة، ألدُ أعدائك ظلمةَ الليل وأكره أوقاتك وقت النوم، حين تكون وحيدًا في تلك الفترة يجب عليك أن تتعرف على ذلك الطريق الذي في عمق ذاتك، فتقف على قدميكَ وتنير الغرفةَ لكي تخفف من خوف قلبك يســـتيقظ أخاك الذي لا ينام إلا في مكانٍ مظلم.. فينير الإضـــــاءة وتقوم أنت وتنيرها.. وهو يُطفئُها.. وأنت تنيرها.. وهكذا في كل ليلة.. فتســتسـلم وتلجئ الى الاســتماع إلى تلك القصـــائد التي أســرتكَ دون مبرر، تقربها إلى أذنيك فتخترق أغشيةَ قلبك.

٧ أغسطس

- مرحبا مقلةَ الفؤاد، حديثنا اليوم بعد فترة طويلة كنتُ مشغول فيها بأعمال لا تذكر ولا تستحق الحديث عنها. سأخبركَ بما هو أهم من ذلك..

ولو قلتَ لي بماذا تنصحني يا جدي الجميل؟

حسنًا.. أجعل القراءةَ وجبتُك الرابعة وكما لا تنهض قبل أن تشبع فلا تتوقف عن القراءة حتى يمتلئ عقلك من وجبتهِ اليومية. كن عاشقًا للقراءة وتمتع بها كما تلعبُ مع أصدقائك بمرح، أتخذها رفيقة لك.

وأعلم بأنها خجولة وأنها تُحبكَ كثيرًا ولكن لن تعترفَ لك قبل أن تعترف أنتَ لها بذلك. أشعرها باهتمامك وأنك تُحبها أهرب إليها دائما حينها ستعطيك كلَ ما تملك.. حينها ستعيش كما تُحب أنت أن تعيش. ولكي تقرأ عليك أولاً أن تعرفَ ماذا تقرأ فاختيارك هذا سيُحدد مقدار شغفَكَ للقراءة..

البداياتُ صـــعبةٌ دائمًا يا بني ولكنك حين تكونُ في المنتصف ستنظرُ إلى بدايتكَ في الطريق وتبتسمُ في نفســك وتقول أين تلك الصـــعوبة التي كنتُ أخافهُا كثيرًا. القراءة بوابـةُ لعـالمِكَ الخـاص تختـارُ فيـه مـا يُعجبكَ، وما تطمئُن به نفســك ويرتاحُ له قلبك. تَزيدُ عقلَــكَ متعــةً، وخــاطركَ فكرةً، وحيــاتُــكَ خبرة. تَســبحُ في بحورِ التجربــة المطرزةُ بجمــال اللغــةِ والأدب. حروفٌ تنقشُ من صـــميم الفؤاد، فمتعــةُ القراءةِ كرحلةِ شـــابٍ إلى موطن العجائب، ومقابلة أغرب الغرائب، ومشـــاهدة الأشـــياء من حقائقٍ وأســاطير.. تأريخٌ تجولهُ بتفاصــيلِ مفكرينَ عباقرة، وكتابٌ صـنعوا للحرفِ فمُ ولسـان وعينان. وآخرون يخلقون للكلمةِ لحنًا ساحرًا فتأسرُ القلبَ! فيعشقُ ذلك السجن! فالقراءةُ هي البحث عن الحقيقة وقتلٌ للجهلِ والحيرة، هي مصباحُ الطريق،

وهي المُؤنسُ والصديق والمنقذُ من عادات التخلفِ، وهي الحريةَ والخلاص. أنتَ الغريق في بحرِ الحياة والقراءة سفينة النجاة. إن القراءة مخزون العقل، وطبيبُ الجهل، وتنفيسُ للنفس وهي عشقُ للأديب. القراءة متعةُ لك قبل أن تكون فائدةً لك. يا بني فختر دائمًا ما يكون فيه صلاحٌ لكَ وراحةً لقلبك، ربما في زمنك الآن كل شئ تستطيع الحصول عليه بسهوله فجد ما يتتطلب عليك الحصول عليه!

١٠ اغسطس

- السلام عليك يا حبيب جدك، كيفَ حالك؟

- تقولُ لي بخير.

يا بني كي تكون بخير عليك أن تبتسمَ دائمًا، وأن تبدأ الحديث أولاً، وأن تجعلَ الحياة طريقَ سفرٍ لا إقامة، وحذر التشاؤم يا بني فحتى في وجه الغراب خير، أجعلهُ خيرًا وإن لم يكن ذلك. الحياة ليست صعبةً كما تسمعها من الآخرين فهم يتحدثون عن حياتهم، وتلك ليست حياتُك فأنتَ من تصنعُ تلك الحياة. أنصحُك بأن تصادق كل من يمرُ في حياتك، فالحياة جميلةُ بالأصدقاء، صادقهم طمعًا في ابتسامتهم لا لشيءٍ آخر.

- مهما بلغ بك اللامعروف وتملك عقلك وأشـــغل تفكيرك، مهما قتلك ذلك الشـــعور المنبوذ وأوجعتك ملامســته لأيامك المتتالية، مهما كنت وحيدًا في ليلكَ تُسـامر النجوم، ورأيت في نهارك من لا يسـأل عنك أو يبتسمُ عند رؤيتك، إياك يا صديقي حينها أن تخبر نفســـك أنك وحيد، وأن لا طاقة لك على هذه الحياة، إياك أن تهمسَ في ذاتك بأنك ضـــعيف، تحامل على نفســـك قليلًا يا ملاذ، نعم أنت الملاذُ لِروحك الهاربة من خذلان الآخرين لها، لا تشـــعرها بفقدان شـــغفك فتنطفئ، أنت قوي لتصـمد أكثر. قل أنا قوي لتَسـمعَ روحكَ الجامحة لتنطلقَ، أطلق لها العنان في الأفق. أتعرفُ يا مخذول، أنت تســـتهين بقدراتك، لِما تنظرُ إلى هذه الحياة بنظرة السواد! هي قاسية أعرف ذلك، ظالمةَ أحيانًا وكثيرًا تضيق بك شدة الانفجار أعرف ذلك أيضًا، لكن صدقني لست أنت فقط من تعاني،

- تفكير مرهق.

"كن جميلًا ترى الوجود جميلا"

هكذا يجب أن نعيش أن نأمل الخير في كل مصـــيبة وشـــر، وأن نتذكر دائما أن تجاوز هذه الحياة هو التفكير الإيجابي. لكلِ إنسـانٍ قاموسـه الخاص به في حياته، يصنعهُ بما يقوله ويفكر به. أحد أسباب الموت هو التفكير الســلبي، أن تنطقَ بأن لا شـــيء جميل! أنت حينها تقتل بذرة الجمال التي كانت ســتثمر بجانبك. حين تقول لا شـــيء يهمني في هذه الحياة! حينها أنت تعصـــي أمر ربك حين قال لك أنك خليفته في هذه الأرض، أنت ملزومٌ أن تعمر هذه الحياة، أن تجتهدَ في صنع تأريخك، لتكن أنسانًا يثق بأنه سيأخذ أجرَ كل ما يعمله في أنجاز مهمته.

ســـتجازى! حين تصـــبر، ســـتجازى! حين لم تفقد الأمل، ســـتجازى! حين نهضـــت لتصـــنع يومك، ستجازى! حين ابتسمت في وقت كان يجب أن تبكي، ســـتجـازى! حينمـا مرَ عليـك بلاء فتحملـت، ســـتجـازى! حين قتلتـك الـهموم فعشـــت، ستجازى! حين أرهقتك الحياة ولم تخضـع، وأيضًـا ستُكرم حينما كسرتك الحياة، وظلمك البشر، وتخلت عنك السعادة ولكنك لم تستلم أكملتَ مهمتك ابتسمت للمصائب، واستعنت بربك ومضيت.

التفكير المرهق يدمرك، يغزوا منـاعتك، وشـــيء فشـــيء يســـتوطن فيك، يســـتعمرُ قلبك وعقلك، إن لم تقاوم لن تكون لك الحرية سيُهجّر أفراحك، ويغتصبُ أحلامك، سيقتل فيك براءتك.

إن لم تقاوم ستُسحَق. كما جاهدوا هم بالحجارة حتى وصلوا للصواريخ! جاهد أنت أيضًا. هم آمنوا بقضيتهم وحفروا الأرض خنادق، كان الصباح والليل بالنسبة لهم شيء واحد، امتزجت حشود أعراسهم مع جنائزهم. آمِن أنت بشروق شمسكَ الجميلة، وثق بربك الجميل، وأن الجميل لا يعطي إلا جميل.

- ذبول الورد!

هل تستطيع أن تعيش الحياة لوحدك؟

سـماءٌ واسـعة وأرضٌ ممتدة، فكيف تضـيق بك وحدك! خُلقنا لنتشـارك الأشـياء لنعيش ونسـتمر، النجومُ دون ظلام الليل لا تُرى، وأنت لوحدك لا تقوى لابـد من الآخرين ولابـد للآخرين منـك. ليس الورد فقط من يذبلَ وينحني، الأيام أيضًـا تذبل وتنقضـي، والأصـدقاء يذبلون ويرحلون، والسـعادة تـذبـل وتتلاشـى، الكـلُ يعطي حقـه ويـذهـب.

انتهى..

صـــديقكَ المقربُ أصـــبحَ غريبًا تنظرُ في عينيه فلا تَعرِفُهُ ولا يعرفُك هو!

- خيبـةَ أمـل! كنـتَ ترجوا من أحدهم نصـــركَ في معركتك فاذا به يخذلك فتراهُ في صفِ أعداءك!

- حبيبتكَ التي قررتَ أخيرًا أن تقوم بخطبتها فتذهب فلا تجدَ القبول عند أبيها!

- لم توفق في امتحـان القبول في الجـامعـةِ لتحقق ما كنتَ تحلمُ به بالرغم من اجتهادك المكثف!

- مشاكلٌ أسرية كنتَ أنتَ ضحيتها، رأيتَ أباك يرفع صوته بوجه أمكَ فتزعزعَ الأمانُ من داخلك!

- حربٌ أمستُ في مدينتك الجميلة فتهربُ لاجئً وفي الصباح بيتُك يُقصف!

- تضـــطرُ لذهابِ إلى الغربةٍ مُرغمًا ولســـانُ حالِكَ يقولُ يجب أن أجد مستقبلي.

دائمًا ما نخاف أن نكون ضعفاء أمام الأخرين..
ولكن مع منّ نُحب لماذا لا نخاف إنّ بدّونا ضعفاء!.

البدايات دائمًا تختلفُ في النهاية.
وقصتُك لا تختلف عن قصص الآخرين! حبٌ جميل، ثم حبيب خادع، وصـــديقٌ مُحب، ثم ثعلب مكار. أســـتاذ مثالي، ثم يُعطي الدرجة النهائية لمن لا يستحق!

حبيبٌ يقول لكِ لن أتركِكِ يومًا ويرحل ولا يعود! وإن عاد لا يعرُفكِ البته! زميلٌ يبتسمُ لك كل صباح، ثم يطعنُك في وســطِ قلبك! حماةٌ تضـــحكُ لكِ في وجهك، وعند الأخرياتِ تقول لهم لا تصلحين لشيء وقد تعبت منكِ كثيرًا!

كثيرون هم أصـــحابُ الأقنعة، فحاول جاهدًا أن لا تكون منهم. يا صـديقي، هناك كأس ســأسـميهِ كأس الأضداد. ستشربُ منه! إن ضحكت ستبكي،

وإن فرحتَ ستحزن، شعرت بذروة الحب والحنان، ستشعر بمرارة الفقد والحرمان، متفوقٌ في دراستك وتقدير ممتاز، ستضطر للعملَ مجبورًا في غير تخصصك!

قال لك: أحبكِ، هو نفسه الذي سيقول لكِ لا يمكن أن نكون معًا. وهي التي تقولُ لك ليتَ كل العالم مثلك. هي نفسها سوف تقول لك: لن أسامحك لقد أذيتني كثيرًا.

أنا لا أقول لك أن تيأس، وألا شيء جميل،
أقولُ لكَ لا تحزن، فلستَ وحدك أنتَ من يُعاني،
تعزى بمن سبقوك وتغلبوا على خيباتهم، وانكساراتهم، تعزى بمن حولك وأنهض بعد سقوطك،

حارب الحياة وحدك، أفتح صفحة جديدة، لا تستسلم وتظن أنك وحدك من يُعاني، وثق بالآخرين فالثقة لا تنتهي عند شـــخص خانكَ وباعكَ للحياة، ولكن كن حذرًا فالحذر أمانُ المسافرين.

- إن أول ما يتغير الإنسان لأجله هو الحب.

هو القادرُ على تغيرِ جذورِ الشـخص المحب بطباع حبيبه وتحوليه لشخص آخر. هل سبق لك وأن عشة قصة حب؟

سيقول الجميع نعم. فمن منا لا يُحب، أو لم يحب!

وإن كان جوابك لا، فستحبُ يومًا ما.

أقول لك عيش حياتك كلها حب، الحب لا يقتصـر على حبيبة فقط، او فتاة جميلة، الحب مظلومٌ عندنا، فالحياةُ كلها حب، الصـباح الجميلُ حب، مصـافحة صديقك حب، السلامُ على من لا تعرف هو حُب، أن تُقبل رأس والدتك حين تذهب لعملك حُب، أن تسـأل أخيك الذي تراه أربعة وعشرين ساعة؛ كيف حالك، هو حُب أيضًـا، كل تلك التفاصـيلُ الصـغيرةُ حُب، صرنا نخجلُ من الحب! لماذا؟

أحبّ ولكن لا تُعطي وعودًا كاذبة، وأحلامٍ لا تستطيع تحقيقها. فلا تعلم ماذا تُخفي لك الحياة، الحب جميلُ جدًا أكان مع الشخص الصحيح أو الخطأ، هو جميلُ بكل أشكاله ولكن لا يستمر بالشكل الجميل.

كثيرة تلك القصص التي تقول بإن الحب عذاب، وهو كذلك! فكيفَ ما زلنا نُحبُ ذلك الحب؟ وكيف تأخذك أقدامك إلى نار تراها بعينيك؟ لم يمضي عليك عام من العذاب والصبابة والشوق حتى تتورط في حب جديد مع نسبة ثمانين في المئة تعلم أن هناك عذاب ينتظرك في نهاية النفق، وألمُ سيفتت قلبك.

الحبُ ليس خيارًا من أربعة أقواص يمكنك أن تختار منهم، بل هو امتحان إجباري، هو ضعفُ في الشخصية، وحاجةٌ من حوائج الإنسان البشري الطبيعي. وأنا مع مقولة أن الحب للفاشلين فقط!

وإن كنت واحدًا منهم.

ـ تراكمات

إن في بعض الفراق حياة، وفي قلب السعادة موتٌ محقق، ونظراتُك لحبيبِ قلبك الذي لم يعد كذلك لهيَ كفيلةٌ لجعلك تنحرفُ عن مسارك المستقيم. وتسألُ نفسك لماذا كل هذا التحول المفاجئُ في حياتي؟!! ويضيق بك الوقتُ! وتضيق بك الحياة. كل تلك التراكمات تراها وليسَ باليد حيله، تنهار كنهر جار، وتثقُل خُطاك كعجوزٍ في التسعينَ من العمر، كأنك في سباق هناك مئات الألاف المتسابقين، ولكن أنت خلف ظهورهم لا أحد بجانبك تُعزي نفسك به لكنك ما زلتَ تركض! قف! قف هناك من بين الألف وأعلِن أنك لا تقوى، السباقُ ليس مهما لطالما هناك الكثير أمامك. وحبيبكِ ذلك الذي تقولين أنه رحل! ليس مهما لطالما قد رحل. هناك الكثير من يُريدُ قربكِ ويتمنى حبك.

تلك المادة الصـــعبة، لا تحرق روحكَ لأجلها لطالما كنتَ في باقي المواد امتيازات!

بعض الأحيان يجب أن نتخلى ونرخي أيدينا، لا أن نتمســـك فنســـقط بقوة فلا نقفُ بعدها!

وســـكوتكَ لكلام جرحَ قلبك بعمق لا تئن، فيقول أصـبتُ الهدف. والصـديق الذي يضـعُك خيارًا بينك وبين شـخص آخر لا يسـتحق! لا تُثبتْ له أنك محق، وإن أصـرَّ أقسم له بالحقيقةٍ وأرحل بسـلام بعيدًا عن المكان الذي لا يليق بك! أبتســـم دائمًا ويكفيكَ أنكَ حاولت جاهدًا لتكون إنسانًا مع أشباه البشر.

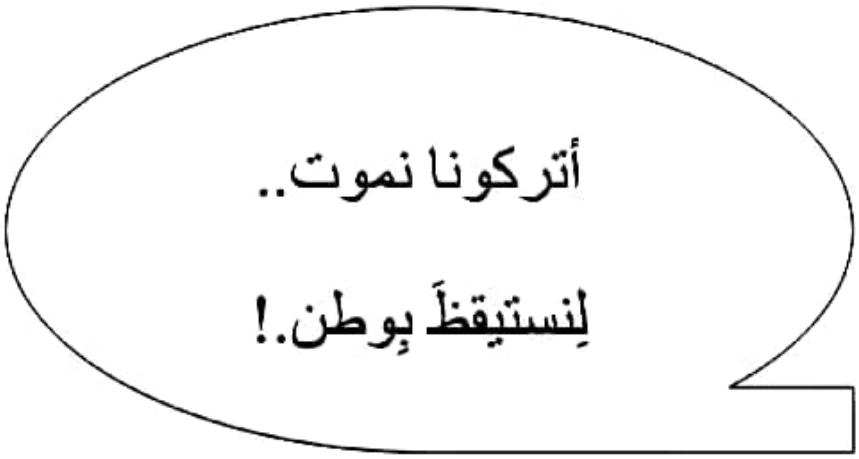
أتركونا نموت..
لِنستيقظَ بِوطن.!

- قالت: "عندما خذلني الآخرون كنتُ منكسرةً تمامًا لا أقوى على الوقوف، كنت أحتاجُكِ يا أمي كثيرًا، لكي أستطيع المواصلة أحتاجُ حضنٌ دافئ منكِ، وكلامكِ الحنون، أنتِ فقط الصادقةُ بالحب لا أحد غُيركِ أمي."

قال الشرقاوي: لو أنني أكتب من الآن الى قيام الساعة عن الفقد، لن أعطيه حقهُ كما يشعرُ به صاحبُ الفقد.

إن فقدان الأحبة عذاب!

وما العذابُ إلا موتُ الأحباب. و يا قلبي لمن يُعاني من قساوة الحياة والخذلان، ولا يُلاقي حُضنًا يشكي ويبكي إليه فتدمع عيناه فيسكنُ قلبه ويرتاح. ولكن لا أحد هُناك وحيدةً تُصارعين الخوف وحدك! الأيام باردةً في الصيف وفي الشتاء، كل شئ بارد كبرود القطب الجنوبي،

لا شـــئ ســـوى الحزنُ يحرق الفؤاد، ويخرق قواك، تملكك حتى أصبحتِ من أتباعه كل حروفكِ له! وكل نقطـةٍ منك هي لـه! أين أنتي يـا أمي خذيني إليك لقد اشتقت لكِ وكرهت كلَ شيءٍ ما عداكِ أمي!

شـــعورٌ لا يوصـــف أن يُحبكَ أحدهم دون أي مقابل! وكأن كلَ الكون لك..! إبتسامتكَ تملئُ المكان ضوءًا، لا تحتاجُ لأحد ســـواه هو العالم كله، تذهب إليه إن خدشـــك أحدهم بكلِمة، فيُقبلُ موضـــعَ كلِ حرفٍ أصـــابك، تظن بأنك في مأمن، وأنك في ســـلام! كلا يا صـــديقي، من هنا تأتي الضـــربةَ القاضـــية. تُرخي كل دفاعاتُك، وتقول لِما الدرع! وأنت مع من يضـــحي بحياته لأجلك. ويقول لك : ســـأبكي حتى تضـــحك وســـأحزن حتى تفرح، ولو أن في موتي سعادتُك لخترتُ الموت. أبعد هذا ألا تُرسي سفينتك وتفرشَ بساط أمانك وتفتح حدود قلبك دون شعور !

غربةْ رُوح!

تلقاه بعينيك، ولا تراه! تتقربُ إليه فإذا بهِ غريباً. الذي كان كل العالم يمرُ من أمامكِ فلا تبتسمين مجبورةً، فرض الواقعُ عليكِ ذلك، وداخلك يحترق! تُريدين الركض إلى صدره غيرَ آبية بمن حولكِ، تتمنين الصراخ مُلئ المكان والله أحبُكَ فلا تبتعد عني.

يقولون غالباً من يتحاشى النظرَ في عينيك مباشرة هو أكثر من يتأملك حين يطمئن أنك لا تراه. هكذا نحن! نخاف من أن يُعرف ما في داخِلِنا. تحاول جاهدًا أن تُخفي كل شئ ولكن عينيك تفضحكَ دائماً.

يضيق بك صدرُك فتخرُج هاربًا منه، تدخلُ غرفتكَ وتغلق الباب فتضيقُ بك أكثر، تركض هاربًا إلى العالم الخارجي لعلك تجدَ الهواء النقي، فإذا بالعالم كأنه زنزانةَ مظلمة، ترجعُ إلى صدرك فترى قلبك محترقًا، يستغيث.. أنقذني.. أنقذني! فلا تستطيع، تذهب الى صديقك المفضل، وأنتَ تقول هو قادرُ على فهمي لطالما كان كذلك دائمًا، تصلُ إليه تُعانقهُ بكل قوة فتشعر أنه لا يرفعُ ذراعيه ليمسحَ على كتفك، ويقولُ بلغة باردة لا بأس عليك أنا بجانبك! الحديث معه لا جُدي لا حرارة في العناق،

وأنت عاجزُ عن شـــرح ما بك وماذا تُريد، فيخيب ظنُـك فتكتم أنين قلبـك وقـد أحترق، تنزل ذراعيـك تتوقف عن الكتابة، وتقول في نفسك إنني أحترق ولا تـدري لِمـا ! إنهـا التراكمـات تقتُـلُ أحيـانًـا. إذاً قلبُك يحترق، غرفتك لا هواء فيها، العالم كل العالم يضيق بك، وصـــديقك المقرب يفشـــل في فهمك هذه المرة، تموتُ لوحدك، تتســـاقطُ دموعك، أنفاسُـــكَ طويلةٌ حاره، فتضـحك من نفسك وتُمسحُ على خديك وتقف على قدميك وتقول هذه النهاية.

لا والله مـا هـذه هي! إنمـا هـذا مـا أراده عـدوك لا تسـتسـلم له، قف! قف! فما ضـاق صـدرًا ذكر الله، ولا يئسَ عبدًا ربط قلبه بالله، ولا أنكسـر خاطرًا سلم أمروه لله، ولا تعبت نفسٌ قرعـة بـاب ربهـا وقـالـت إلهي إنني منكسـرةُ فرممني، ووحيدة فأنسـني وتائهة فهدني.

يـا من أنهكتـه الحيـاة وحلـت عليـه أيـامٌ عجـاف، وأبيضـت عيناه على فراق حبيبه! ويا صـادقًا خدعهُ الجميع، وطيبًا ساء فهمه الآخرون. و يا صديقًا خُذلَ من أقربَ أحبابه، يا خطيبة تركها خطيبها دون عيب فيها، يا محزونا على ذنبٍ أجرَمه،

يا عاشقًا ليس له نصيبًا في حبيبته،

تحلا بالإيمان في امتحانك كن قويًا ولا تنكسـر، وعُد إلى ربك وسـأله سـكينة لقلبك، وطمأنينةً لروحك، والسلامة لمشاعرك، والشفاء لجراحك. وأمتْ نفسك دُعاءً.

تتمنى لو أن تلك الأيام تعود بك، فلا تفارقها ولا هي تنتهي! إن الإنسان يا صديقي أسيرُ ذكرياته، فأن تحرر منها فقد نجى ولا ينجوا منها إلا من خان، وإياك أن تخون يا صديق .!

تقول: "أخبرتُ صـــديقتي المقربة أن كل حرف منها لهـا عنـدي مكـانــة تختلف عن بـاقي الحروف من غيرها وأن كلمة جميلة منها تجعل كل يومي ســـعيدًا وحروفها الحزينة كالجمرِ على صدري تحرقه.!

كنت فقط أظهر لها كم أنني مهتمةً بأمرها ربما بالغةً قليلاً بالاهتمام، ولكنني حقًا كنت أشـعرُ بذلك، هي لم تحتمل الأمر فقررت أن تخلصـــني من عذابها لي، وعدم حرقي بـالجمر فقـامـت والقت بي في النـار"

يا صديق مهما أحببتَ شخصًا لا تُعطيه إهتمامًا فوق الخمســين بالمئة، فإن زاد أصــبح في معدل الخطر تدريجًا حتى يكون مرضًا فتاكًا يقتُل صاحبه .

متشابهون!

نتحدث عن المفقود لا عن الموجود، هكذا نحن البشر! عناوين شخصياتنا عكس ما عانيناه، الظاهر لا يطابق الباطن! فالإنسان الذي خذلته الحياة هو القوي دائمًا، والفتاة التي أحبة فارس أحلامها، هي نفسها التي تقول للأخرين إني لا أومن بالحب! والطفل الذي تربى يتيمًا هو الذي يكون حنونًا كثيرًا على أولاده، والشباب عنوانهم القوة، وفي غيابات أرواحهم ضعف لا يُطاق وحزن لا يُحتمل.

كي تضمن أن يبقى معك من تحبه،
لا تحبهُ كل الحب، ولا تُحدثَه بكل ما يحدثْ.. !

إن الغابات الموحشـــة موطنٌ للأســـود المفترســـة، والحيوانات الضـــارية، ألســـنا نحنُ من البشـــر..!

ألسنا من لحم ودم!

وأصحابُ حسٍ وفكر!

نحن لسنا متوحشون.!

لمـــاذا أذن؟ في هـذا الوطنْ نعيشُ الآلام والمحنْ، ونموت بلا كفنْ، ويأكل بعضـــنا بعضـــاً في علنْ، والله إن قلبي ليشـــتـاقُ لـك، ويحِنُ لَلقيـاك، أبكيـك كرضيع يبكي طلبًا إلى حليب أمه، جسدي في غيابك هزيلٌ، نحيل، رقيق، لا مغذيَّ لتك الأجســـاد المتعبةَ سـوى الأمان في أحضـانك، عقولنا متعبةُ في التفكير عن طريقة للعيش في سلام، ومن بعد غيابك الطويل الذي لا أذكر متى بداية رحيلك عنا، ولا جدي يذكر ذلك الوقت. ربما أن الطريق ما زال طويلاً.

أو أنـه لا حقيقة لوجودك في هذا الكون، وفكرة أنك ســتعود لا أســاس لها في الوجود، ولكنني ومعا ذلك أحبك. واتمنى أن تعود. ســأقول لحفيدي الصــغير يا حبيب جدك، لا تفقد الأمل وتمســك به، أحببه من كل قلبك سيأتي يوما ما وسننعم في رباه.

ستخبرك الحياة بأشياء كثيرة،

ستكون أصدقها تلك التي تقسمُ ظهرك.!

نحنُ الرجال، لا نُشارك أحداً في من أحببناهم،
وإن شاركونا فيه عُنوةً، أو رأينا ما رأينا..!!
نزعنا قلوبنا.. من صدورنا.. ونرميها
ولا نلتفت، وأرواحنا تموت شوقاً.. لا نلتفت،
وأجسادنا تستغيث قرباً.. لكن لا نلتفت،
وعيونُنا تحلمُ بنظرة.. لكن لا نلتفت،
وصدرنُا ترجوا ضمة .. لكن لا نلتفت،
يا صـــديقي، إننا نموت ونرغمُ في التراب ولا نأكل حلوى معروضـةً للجميع، الكل ينتظر تذوقها، وعينه ترمقها. حينها فقط يموت الحب يا حبيب،
حينها فقط ينتهي ذلك الشغف..
حينها لا ترى في القرب الأمان..
حينها فقط تستطيع الرحيل دون شوق،
حينها فقط تشعرُ بأنك لم تعد تريد الحياة.

ماذا أريدُ منكِ!

أولاً أنا أنسانٌ كباقي البشر، تُفرحني كلماتُ التشجيع، وتُزعجني كلمات النقدُ الهادم، يُحيطُ بي الضعفُ فلا أقوى، وأحتاجُ مساعدةً كالأخرين تمامًا، ليست لدي قوى خارقة، ولا مهارةٌ أفتخرُ بها، مثلهم تماماً تائه فلا أدري! أحياناً لا أريد أن أتحدث مع أي شخص، عندما أكون سعيدًا أطيرُ من الفرح وأغردُ ضاحكًا كالبلبل، مختصر الكلام أنا مثلهم لا أختلف! أعلمي أنني لا أريدك لقضاء حاجتي فقط أريدك ملجئي ومسكنُ خواطري، أريدك شريكة لأفكاري وسامعة لما يجول في مخيلتي، أريدك رفيقةٌ معي نحو طريق الفلاح، ونمضي معاً الى الاخرة، ونأخذ بأيدي بعض نحو الفوز الحقيقي، لن نكون مجرد ألعاب لبعضنا لبعض، نحن أرقى من أن نكون كذلك. سيكون كلاً منا طبيب الآخر،

سنضمدُ جراح بعضنا البعض، سنجيد لغة الارواح وسنفهم دون أن ينطق ايُّ منا. لن نعرف التجاهل في حياتنا سنؤمن ببعضنا البعض إيماناً مطلقاً. ولا تحاولي إسعادي، إبتسمي فقط وسأكون سعيدًا. وكوني على يقين بأني وفي أعماق قلبي سأحبك. أعرفُ أنه لا بد من الخلافات بيننا يوما ما، ولو لأتفه الأسباب وأصغر الأشياء، ولكن أعلمي بأني سأكون أول من يتنازل ويعتذر، فقط قولي لي أحبك.

وكوني على يقين بأني سأبتسم لكي حتى في أشدِّ الصعاب في حياتنا، وسأبدأ المزاح معكِ ونحن في قمة الغضب، وعندما تغضبين وتتغير تعابير وجهك، لن أبالي بأي شيء، حينها فقط سأقوم بضمكِ الى صدري بكل قوة. إذا كنتُ منشغلاً ولم أخذ الاذن منكِ، لك الحق في مقاطعتي، والتحدث بما أردتِ، سأستمع إليك بكل أنصات.

و ما يحدث بيننا يبقى بيننا مهما كان،

و ما يحدث بين الناس ينتهي بيننا.

اذا كُنتُ اريدك ونـاديتُ لـكِ، أتركِ العـالم كـل العـالم ولبي النداء. لا أريدكِ أن تشـــتكي بي لأحد أشتكي عندي عني، وسترين الأنصاف حينها.!

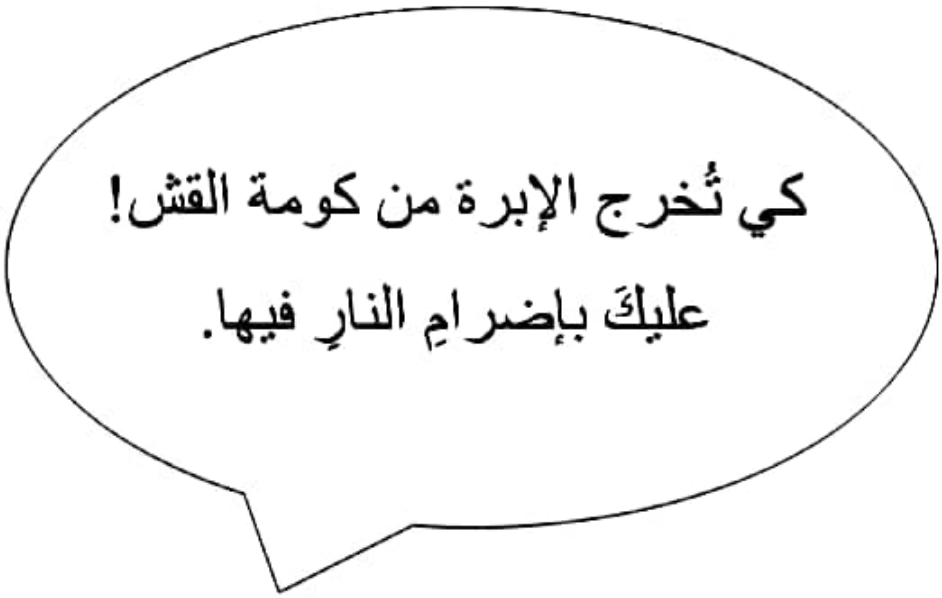
كي تُخرج الإبرة من كومة القش!
عليكَ بإضرامِ النارِ فيها.

عندما قالت لك:

لن أجد في هذا العالم شخص مثلك!

ماذا فهمت أنت حينها!

أيها الأحمق! لقد كانت تقول لم أرى أغبى منك.

يا صديقي، هناك بشر تتعجب من حياتهم! كيف لهم أن يعيشون وهم قادرون على أن ينظرون في عينيك ويقولون:

- يا أغلا البشر و يا أجمل صديق.
- أنت عندي لا تهون.
- لن أجد وفياً مثلك.
- أنا معك لا تَخف.
- يبكي ويقول لك أحتاجُك.

وما بين أن يرتد إليك طرفُك يمكرُ بك عند غيرك!

وقد كنتَ ترى بعينيك فلا تؤمن بها!

ولو لا أن فتح الله لك عين قلبك، لَمَا رأيت الحقيقة مستقرةً أمامك. واذا بكلماتهم تُترجم فكأنه الذي قال: أنا معك لا تخف!

يقول: هو مغفل يضحك عليه من هب ودَّب.

والذي قال: لن أجد وفيًا مثلك!

يقصدُ: دعني أضحكُ على وفائه.

والذي قال لك: دمعك عندي لا يهون!

قال يقول لكِ: هي غبيةً تُصدق كل ما يقال.

والذي قال لك: أنت أجمل صديق لي.

قال عليك في غيابك: لقد تحملتهُ كثيرًا سئمتُ منه.!

والذي قال لك كن بقربي فإني أحتاجُك نفســـه يقول: دعني أكمل لعبتي معه!

يـا رفيقي ليس الجميع كـالـذي ذكرتُ لـك، لا والله، ولكن أولئك البشر موجودون على هذا الكوكب وهم بارعون جدًا. فحذر يا صـــديق ولا تجعل لك رفيق منهم ولا تقبل بنفسك صديقًا لأمثالهم!

عندما كانَ يُحيطُ به شعورَ الإخفاق والتقصير، وعدم إســـلام بعضِ قومـهِ بـدعوتـهِ في بضـــعِ ســـنين!

كان يحدثه عن ذلك الذي دعى قومهُ لمئاتِ الســـنين ولم يؤمن معه إلا القليل.!

عندما كان يضـــيق به صـــدره وباخعٌ نفســـه لحالهم!

كان يُحدثه عن نهاية هذا العالم، ويقول له لا تحزن (وإنا جعلون ما عليها صعيداً جُرزا).

كان يحدثه عن فتيةٍ ضـــاقت بهم المدينة فتســـعَ لهم كهفُ في الجبل! فلا تحزن ولا تأســف على نفســك، ولا يحزنّك قولهم.

رأتُه حزينًا فذهبت إليه تسـألـه ما هو أعظم ذنبٍ أجرمته؟ قال: كسـرتُ قلب خطيبتي بعد أن قلتُ لها أحبك، ثم طلبتُ منها العفو وأن قلبي لا يريد!

قالت له: إذًا لم تطلقها في ليلة عرسـها فأنت لم تفعل شـيءً لا تخف. ما بألكَ بمن أحبني وأحببته، وحاربنا كل العالم لنكون لبعض، وفي يومِ زفافنا تركني لأنه غضب من أخي.

هناك من عاش ما تراهُ لا يُعاش!
فرفقًا إذا مررت بقلب أحدهم.

أنتهى عـامٌ جـامعي اخر، قررت الجـامعـة تكريم طلابها الأوائل، شـــعرَ بالحزنِ كثيرًا حين عرفَ أنه ليس من ضـــمن الطلاب الـذين ســـيكرمون. تمنى لو يُعيد الزمن ويضع نصبَ عينيه أن يقف بكل فخر أمام ذلك الجمعُ الغفير! فقد ثقتهُ بنفســـه وقرر عدم الحضور إلى قاعة التكريم.

لكنَّهُ تفاجئ حين لم يرى أسم ذلك الطالب الذي يقدمُه في المستوى داخل الصف من ضمن الأوائل!

شـــعر بكمية ارتياح، ليس حســـدًا منه! ولكن الوحدة عـذاب! وحين يكون لـك رفيقًـا يحمـلُ معـك ذلـك الحدث، ويشـاركك نفس الشـعور! تشـعرَ ولو بقليل بأنك لســـتَ وحدك من يُعاني، فيهون عليك حزُنك وذلك التعب الذي يُرهقُ عقلك!

فعندما تشـــاهد البلاء على الأخرين فالتحمدلله أن عافاك. وعند الابتلاء أنُظر الى من أشّـــدُ منك بلاءً، فتحمدلله أن عافاك من ما هو أسوء مما أنت عليه!

إن ما يثبت قلبك حين الزعزعة! أنت ترى أن هناك منّ مرَّ بأشـــدِّ مما أنت فيه، وتعرف أن هناك من استطاع!

يـا بني، كـل الإنـاث أعـداء ٌلـك َإلا تلـك التي معـك بالشـرع، فكُن حذِرًا في التعامل مع عدوك. ولا تخبر أحدٌ سـوى نفسـك بهذا العدو! وأياك َوجبر الخواطر فلهن ّرب ٌكما لك َرب! ْوالله ُأولى بهم منك.

قد لا يرى الانسان إلا حبيبه وطناً،
وإن قسى لكل منهما على صاحبه،
فعادة الأوطان تقسوا،
وأن نحبها بالرغم عن ذلك.

- تيميم البرغوثي

قلبي فداء عينيكِ!

يا وعد هل رأيتِ طفلًا ماتَ أباه؟ هل رأيتِ دموعُ الشوقِ تتساقطُ دون صوت! ما أقصى الفراق يا وعد! تعالي أحُدثُكِ العَجب وما لاقاه ذاك الطفلَ بلا سبب.!

لا بأس إن مات أبي سأبكي كثيرًا، سأحطمُ الغابات كلها، سأخذُ إحدى تلك النجوم بيدي وأرميها بقاعِ البحر لينفجر، وسأمسكُ الشمسَ بيديَّ الأُخرى حتى تنطفئ، ولا بأس إن قتلتُ تلك السُحبُ التي تُمطر واحدةٌ واحدة.

روحي الفداء، قلبي الفداء، أنا كلي الفداء، لمن فقدَ أباه، وأباه بجانبه ما زال يمشي على قدميه. روحي الفداء لطفلةٍ رأت ملاذَها الوحيدَ بلون الجحيم، روحي الفداء لطفلةٍ تربت على صرخاتِ المجرمين حين كانت ترجوا: لا بأس بُنيتي كل شيء يهون،

ومســـحتُ كفٍ على شـــعرها لا خدها فتزهرُ حينها وردة الياســـمين. نفســـي الفداء لطفلةٍ لاقت صُـــراخَ الكفوف وتجاعيدَ الوحوش، نفســـي الفداء لطفلةٍ ظلت تُحدقُ بصـــمتْ وعينيها تقول أحبك يا أبي، أحبك يا أبي.

كلي الفداء لطفلةٍ ماتَ والدُها وأمٌ تحت التراب! كلي الفداء لطفلةٍ قالت لعينيها لا تبكيّا إنه قلبي أبي.

طفلةٌ بنيةُ العينين تهزمُ نفخات صُورِ حياتِها وبشعرها القصـيرُ تصـدُ شـرارات الحياةِ من الحياة! والخوف يُســـائِلها من هذا من يكون..؟! وتُمعنُ جيدًا هل يا أنتَ هذا أبي!.

يأتي الحبُ ويُقبلُ خديكِ ويســأل من هذا؟ ويأتي بعده سربٌ من الأصـدقاءِ في خدمةِ عينيكِ فيسـمعون ذاك الصراخ يتساءلون من يكون..! يتقدمُ الحنان فيقول يا فتاة القمر ما هذا الشيء؟

فتصـمتُ ولا تجيب.. فيقوم العناق ويضـمُها ما بك يا طفلتي العزيزة ؟ حينها يحمرُ خدُها وتقول لهم: إنـه أبي ولا أعرفُ ماذا يُريد.!

قالوا:

أحفظهم جيدًا.. لا تتكلم مع أحدٍ لا يريد سماعك، لا تهتم بأحدٍ لا يتهم بك، لا تشتاق لأحدٍ قامَ بنسيانك، لا تبكي على أحدٍ باع عشرتك ومضى وكأن شيء لم يكن، قلبك خلقًا ليفرح ليدق، وجهكَ خلقَ ليبتسم، حياتُكَ ملكٌ لكَ وحدُك، لم يعد هناك متسعٌ لأن تضغط على نفسك لمن لا يستحقك.

أنه الموت!.. أتدركينَ ماذا يعني؟

اللاشيء.. هو الموت بالنسبة للكون!

أما بالنسبة للقلوب هو فقدان النبض.

للسكان هو نقصٌ في العدّد.

وللمتحابين هو الشلل.. وعمى العيون.

وللوطن هو حُريةَ.. ووسامُ شرف.

للمؤمن تحقيق الوعد وتصديقٌ للحق.

وللكافرين نهاية الطريق واكتمال اللعبة.

وللأخِ كُسرٌ لا يُظهرُ في الأشعةِ المقطعية.

وللأهل رياحٌ رمزية محملةَ بالأسى والحزن.

وللصديق صمتٌ مخيف وساحبةَ سوداء ثقيلةَ جداً تسكنُ في القلب دون صواعقٍ ورعود.

وللغريب هو عضة ومواساة وترديد كلمات الصبر.

وللأب حمدٌ وشكر! أما في قلبه براكين مكتظةً وحمم لا تسيل ولا تُحرق سوى خلاياه الداخلية المتجسدةُ في الروح إنها عملية تستمر دون انتهاء.

للزوج هو صدمةً وغربةً لا بعدها عودة للوطن إنه المنفى.

إما الموت بالنسبة للأم..! أي موت هو ذاك..! هل أقول هو الموت بعد الموت.. لا يكفي إنه أشدُّ الموت موتاً وفتكًا.. هو احتراق ببطيء، إن لهنُّ قلوبٌ في قلوبهنَّ لكما ذاب قلبٌ واحترق! انتقلت النارُ لِتُحرق الروح إنها أرواح لا تُعد وقلوبٌ لا تُحصى... تموتُ أضعاف الموت إن قلوبهنَّ هشة رحيمة تحترقُ بضراوة ولا تنطفئ.

أما الموت بالنسبة لي يا حبيبتي هو غيابك عني! إني أموت الفَ مرةٍ كلما انشغلتِ عني..

غيابك هو الموت.

قُل معاذَ الله..

وإن كُنتَ في منتصفِ الطريق.

يقولونَ لكَ لا تحزن؟ تحامل على نفسكَ لا تَبتئسْ، إن النور باتَ قريبًا، والشمسُ ستشرق ذات يوم. ستمرُ أيامك السوداء، سيتبدد الظلام وسينقضي الألم، ستنسى وتتأقلمُ مع الغياب، سيترممُ جُرحُكَ العميق..؟

لن يحدث أيٍ من هذا..!

ما ينتظركَ أسوءُ بكثير، ستبكي كثيرًا أكثر مما بكيت، ستظِلمُ لياليك وربما حتى ضوءَ القمر لن تراه في كل أيامِ شهرك. وبجانب المعركة التي تخوضها سيُنفتحُ لكَ ثغرًا وثغور. وبجانبِ ذلك الفقد الذي ما زال أثرُهُ يُدمعُك، ستفقدُ أحبابك واحدًا تلوَ الأخر!

إنهم حينما كانوا يقولون لك ذلك كانوا يعطونكَ مسكناتٍ مؤقتة فقط! إن الحقيقة ما سيحدث أسوءُ مما قد حدث. لذلك كُن قويًا وأستعد لِما هو آت..

فما هو آتٍ أشَدُ وأقوى.

- بيتٌ متواضع، ووظيفة في تخصصك،

وامرأةُ جميلةٌ تُحبك.

أهذا ما يهمك؟

أهذه كُل أمانيك!

ما لهذا أنت هنا..!

أنتَ الخليفة هنا يا هذا، أنتَ بمفردك أمة، صاحب الأمانة المقدسة، ذلك البيت المتواضع الذي تحلمُ به على أي أساسٍ ستبنيه؟ وماذا ستصنعَ فيه! تلك الزوجةَ الصالحة الجميلة هل تبحثُ عنها؟ كُن صالحًا أولاً فهي هناك تنتظرك. تنتظرك كي يبدأ الفصلُ الثاني من الامتحان! امتحان دون أسئلة، كونوا روحًا واحدة. أحبوا بعض كثيرًا.

- نعم إن شاء الله سأؤسس بيتًا سعيدًا، سأكون زوجًا صالحًا سأحبُها دائمًا، لن أقهرها يومًا، سأتفهمُ غيرتها ودلالها، فهي طفلتي، وحبيبتي. لن أقُصقصَ أجنحتها ولن أقيد حريتها، فهي عصفورتي وأساس عُشي. عندما نذهبُ الى مكان ما سنسيرُ معًا سأقول: السلام عليكم للجالسين، وهي بجانبي لن أفعل كما يفعل الاخرون هي ليست شيءً أخفيه أو أخجلُ منه، هي زوجتي ورفيقتي وأفتخرُ بها.

لقد أخذتُ كتاب سيرة حبيبنا محمد صل الله عليه وسلم، أعدُك يا حبيبتي في كل ليلة سنقرأهُ معًا سنعيشُ تفاصيل النبوة الطاهرة، وسنناقش الأحداث.. حبيبتي ما رأيك بحادثة كذا وكذا. أعلمُ رُبما لن تكون هناك حياةٌ كما نحب..

أعرف يـا رفيقتي هنـاك الكثير من المغـامرات سـنحـارب فيهـا ظهرًا لظهر سـنحـارب؛ الفقر، المجتمع، العادات، سـوء الفهم، الغضـب، الفراغ، الخوف، الملل، سنحارب كل هذا معًا، سيكون هناك هزائم وغارات سـيدخل بيننا الخونة والعملاء ولكن سـنخطط لتجاوز كل هذا جنبًا لجنب، ولا ننسـى عدونا الأول والأكبر سـنُحوطَ أنفُسـنا في كل صـباحٍ ومساء.

هل تقبلين أن تكوني ليَّ الشق الأيمن مني وأكون لكِ كلي؟ هل تقبلين أن تكوني معي ليكون لنا نصـيبًا من الفوزِ هنـاك؟ هل تقبلين أن نبني جيلاً صـحـابيًـا؟ قـدوتي حبيبي علي وأنـتِ فـاطمتي وزهرتي.

- مرحبًا يا فتاتي أولاً كيفَ حالُك؟

أتمنى أن تكوني على أحسن ما يُرام. وبعد.. أنتِ فتاة لطيفة أو في غايةِ اللطافة، تشبيهن تلك الفراشات الصفراء الجميلة، سأحاول ألا أبالغ كعادةِ الكُتاب ولكنني سأقول عنكِ بعض الأشياء البسيطة وربما حتى أنتِ لا تعرفينها أتعرفين ذلك البحر الذي تعشقينه؟ يُشبهكِ بعض الشيء فنحن لا نُحب الأشياء من فراغ أبدًا، أولُ انطباع عرفتُه عنكِ أنكِ شغوفة بالأساطير والروايات وإن كنتِ لا تُحبين قراءتها، شغوفةٌ بالخيال، شغوفة في معرفة المجهول. تفين بالوعد الذي تقطعينه وهذا يجعلُ منكِ فتاة نبيلة. أرى تلك السذاجة التي تواجهين بها الحياة في عينيك، وبقولي السذاجة لا أعيبك أطلاقًا إنما أقصد أنها عندما ترميك الحياة بسهم في جسدك تقومين أنتِ بالابتسامة لها.

أنــتِ قويــة ولكن هنــاك الكثير من المعــارك في انتظارك لم ترين شـــيء بعد، ســـتُقهرُ قلبك وتنزُل دموعك البريئة، ولكنها ستجعلُ منكِ فتاةُ صلبة أقوى من السابق. أتمنى لك الخير في مستقبلك وألا تفجعين في فقد أحبابك.

حفيدتي ها أنا أكتبُ لك بعد قراءتي لسورة الكهف وخطرَ لي أن أقول لكِ أنكِ قوية كفاية لتكوني سيدة يَفتخر بها الاخرون، ويُثني عليها الغرباء، الحياةُ ليست العدو الغادر، وليست هي التي تمكرُ بك وتصنع الفخاخ لتقعينَ فريسة أولئك الحمقى. أريدك أن تكوني أكثرَ بساطةً لا تفكرُ بالمكرِ والدهاء ولا بالتسلط أو الدلال الزائد، لا تفتخري بنفسك وتقولين: أنا أنا لا أتغيرُ لأجل أحد. هل أنتِ راضيًا عن نفسك! يا فتاتي من يرى نفسه هكذا لا يعيش أو بالأصح يضلُ هناك، وبهناك أقصد جزيرة الوحدة التي يتسلط عليها الحزن والملل. أريدكِ أن تتأقلمي مع هذا العالم، ولا تتشاءمي، وذلك التفكير السلبي لا ترافقيه.

ليكن ظنُكِ بالجميع خيرًا ليس كل من تصـــادفيهم خبيثين وأشـــرار. ليكن قلبُكِ مفعمًا بالحب، لا أحد يكرُهك وأنتِ جميلةٌ ببساطتك، وتلك الفلقةُ التي على شـــفتيـكِ، وبـاحمرار خـديـكِ تشـــبهين القمر. سيدتي أنتِ لا تحتاجين أحدًا اعلم هذا جيدًا.

- إن العلاقات المؤذية تظنُ بأنها حب وعشق يصعب عليك نسيانه، وهو من الأساس ليس سوى إدمان، من بعد كل تلك الوعود التي وعدت بها نفسك وذاتك بأن لا تعود، تعود ولا تستطيع أتخلص من كل تلك الذكريات والتفاصيل وذلك الشعور الذي تظنُه أجمل ما في هذه الدنيا.

قالوا:

تحدثك نفسك أن تنسحب، استمر.

تحدثك نفسك أنّك لن تكمل، لا تصدق.

تحدثك أنّك أن تحذف كلّ شيء، لا تفعل.

تحدثك نفسك أن التحدي كبير، استمر.

ذهب الكثير وبقي القليل، اصبر، حاول مرَّة أخرىٰ، أنت قريب من النهاية، أنت ندّ للتحدي أمامك، أكمل رغم دُموعك، أكمل مع ألمك، ستضحك في الأخير.

- غيوم الحب تُمطرُ عليكَ فتربتُ على قلبك المتعبَ فيستريح، هي أقربُ إلى الماءِ الباردِ عند الظمأ. أنتم لا تعرفون حينما تُشرقُ الشمس وأنت في قريتك الريفية، في بساطةِ العيش تستيقظَ قبل شروق الشمس تنتظرها هناك فتأتي وتعانقَ ابتسامتك الجميلة. أنتم أصحاب المُدن كيف تتحملون حياتكم! تستيقظون بعد ساعات متأخرة ولا تسمعون لغناءِ العصافير ولا تشاهدون المداخن في كل بيت يتسابقُ الدخان من سيصل الى السحاب أولاً! مدَّ البصر يصلُ بك النظر إلى تلك الهضاب الجميلة والجبال الشامخة المطرزةِ بالمنازل وذلك الضبابُ من فوقها شبيهُ بياضَ الثلجِ، تشعرُ بأنك حر تنظرُ الى الجنوب مد البصر والى الشمال مد البصر كل الجهات فاتحةً لكَ حدودها لا تأسرُك الجدران الصلبة،

تأخذُ نفسًـــا عميقًا يصـــلُ الى أعماقِ الرئة، حيث العبرات الراكدة والنَفَسَ المدفون بغصـــصٍ خانقة فتتحررُ منها وتملئُ قلبك سكينةً بجمال الطبيعة.

أيها الباكي الوحيد! الذي تعود على غياب قلبه! رفقًا بصديقِ الأيام، ومؤنس الليالي الموحشة، أيها الرفيق لكل دمعة حلت على خديك. أيتها النجوم البعيدة التي تسامرهُ في ظلمة الليل، وتبكي معهُ بشهبها النارية. أيتها العبرات الخانقة لقلبه أما آن لكِ أن تتركيه بعد كل تلك الليالي الطويلة التي قضاها في سجنك الجميل.

لا أحب العلاقات المقيدة او الصـــداقات المعقدة التي تحصـــرك في دائرة فتضـــيق بك حد الاختناق، وإن كانت بداياتها حلوة واهتمامها يثلج القلب، العلاقات الدائمة تقتل والتعلق يقتل، لا تنتظر لصـــديقك بأن يأتي ويرســـم الابتســـامة في وجهك أصـــنعها أنت بمفردك ستكون مشوهة في البداية ولكنها من صنعك أنت، وستعرف قيمتها جيدًا.!

أنا افضـــلُ العلاقات العابرة وأصـــدقاء المصـــالح سأكون سعيدًا إن كان هناك شيء أستطيع أن أقدمهُ لهم إن لم يكن ضررًا لي. لا تُقيدوا حياتك بأشخاص مهما أحبوكم ومهما قالوا وتحدثوا لكم عن البقاء، فأنا خسرتُ قلبي حين سمحتُ له بدخول مملكة الوعود ذات الطعم العسلي.

أهتموا بقلوبكم كثيرًا ليس هناك من يستحق أن ينبض القلب خوفًا او شوقًا لأجله. صدقني نحن نخدعُ انفسنا فحسب، ألا يكفي لقلبك أن يستقر وأن ينبض لأجلك فقط لأجل نفسك ومسيرتك وغايتك السامية! ألا يستحق قلبك أن يكون سعيدًا يكفيه ما أصابه.!

- يا لهذه الدنيا كم هي مليئةٌ بالمنكســـرين! تُشـــبهُكِ الحياةُ يا روح! كالبحر تُخفينَ مدامُعكِ العزيزة، قويةً تكادين تبكين بين القومِ يا روح! لكنني أرى الاعتياد سيد خيمتك والهدوء عمودها. يا روح! مهلًا ..

تاكِ الليلٌ ضيفًا يستمدُ النورَ من كفاحك.

لغز:

يأخذني الحنين "مكبلًا نهارًا اساق" أسقطتُ همزة القطع ليسَ سهوًا فالحنين أجبرني، يأخذني "علانًا للذكريات يعدمني" المؤنثُ مذكرًا ليس جهلًا بل لتعلمي أن الحنينَ يأخذني "مُرغماً عبثًا طي". والطي لا شيءٌ ولكن كي تفهمين! أتذكرين كيف كنتِ تقولين حينما أقررُ أن أنام "تصبح على خير".

ذات ليلة..

حينما يجتمعُ الشمسُ والقمر

أي حينَ أجتمعُ بكِ بلا تشبيه أو استعارة

في تلك الليلة بالذات سأخطفُ الوقت وأقتله.

أما قبل:

الكلُ مُذنب وهذه حقيقة نُخبأها في أعذارٍ تافهة، أما وقد عرفتُ الجميع وعرفتموني وما أنا بأقل منكم كذبًا وخداع..!

ولكنني ما تكلمتُ مع شـــخصٌ أكره حديثه وريحة حروفه وأتملق في الحديث معه، لطالما قلتُ لمن أكرهه - لا أطيقك - ولمن ارتحتُ له -أحبك-. أما والله ما انزعجت من أحدهم إلا وقلت له ذلك وجهًا لوجه! غير ابيًا بمشاعر الحوار، أو إحساس قلب، ولا تظاهرتُ بالودّ لمن لا ودَّ له. وأما بعد..!

كونوا صادقين دائمًا وإن لم يصدق معكم أحد. ولا تتحدثوا عمّن لا تعرفون عنهم سِوى كلماتٌ تسمعونها من غيرهم.

كن صـادقًا مع نفسك اولاً ثم مع الاخرين، فلا شـيء أجمل من أن تكون صـــريحًا واضـــحًا مع كل من تتعـاملُ معهم. ومن يُهـددك برحيلـه وبتلـك الفرص وكأنك المذنب الوحيد، ولا يتمســـك بكَ.. ولا حتى بشـــعرةٍ لتشـــعرَ أنك لا تهون عنده، ولا بقيد أنملة! عندما يكون كذلك !! دعهُ يفعلُ ما يريد فلو كان حقًا يُريدك لما خيركَ في البقاء، هو من وضـــع ســـؤال الرحيل، وأنت ضـــع الإجابة بخط عريض: نُحبكم ولكن لا حب في عدم تقديرنا، نُحبكم ولكن هان حُبنا لكم. أمـا والله لقد أحببنـاكم كثيرًا وأقســـم والله أنني أحببتك فوق الجميع. وســتظل كذلك فنحن لســنا من متقلبين الودّ، ولكن هانت أنفســـنا وكُســـر خاطرنُا. وقلتم العيشُ معنا ليست سوا فرصـة ونفذت، فرصـة وانتهت، والله مـا نحنُ بتلـك الفرص. وكمـا يقولون: إذا كان الحب جميل فالكرامةُ أجمل.

لســـتُ بخير، أتنفس بشـــكل جميل وعيناي منفتحتان أيضـــاً لكنني لســـتُ بخير، نبضـــاتُ قلبي منتظمة وحرارة جسمي طبيعية ومع ذلك لستُ على ما يرام، أطالبُ بالنوم، فشيء داخلي يقول لي لن تستطيع.

بعيدًا عن المساواة والعدل! تحرروا من قيودِ
صيادات الرجال، وإن جزمت بأنك صانع الفخاخ،
فهو الفخ بحد ذاته! لا تراهن على الانتصار!
الانتصار هنا هو الهزيمة، فخيرٌ لك الابتعاد.

مرحباً...! شـرف الدين هل حقًا هذا أنت..!! ما الذي حل بك..؟ إنـه الحـب أليس كذلك؟ هو من فعل بك هذا. أمـا قلتَ أنت بأنك لا تؤمن بالحب، وأن الحب ليس إلا تفاهة، ولن تقع في الحب مهما حصـل! الآن قلي ما الذي تغير؟

- ماذا أقول لك! وكأنه راءني أتحدث عنه بالسوء، وسـمع مني ما يطعنُ في حقيقته ووجوده، فأراد الانتقام ومعاقبتي بماذا تحدثتُ بـه.. هل كنتُ أكذبُ في تلك الأيام! سـأسـتمر في ما لا أدري ولا شأن لي ولا ناقة أو جمل.

نعم تأخرت بالرجوع، وقصـــرتُ في الركوع، ولكن يـا رب هي الـدنيـا وعـدوٌ مبين، وأنـا لا اقوى.. فلا تتركيني وحيدا وحاشـــا لك أن تتركني. لا تعذبني يـارب خذ بيدي إلى رحـابك الى الطمـأنينـة الربـانيـة أعرف أنني لا اســتحقها.. تفضــل بها شــفقة بي، أنا المســـكين هنا.. التائه في أحجياتِ المتاهات المتعبة، لا منقـذ لي ســـواك ربي. خـذني إليـك إلى زمرة الصـــــالحين.. هـل يمكنني أن أكون منهم.!! أنـت تســـتطيع يارب قل لهذا الأمر كن فيكن.. إلهي إنني أقرُ لك يقينًـا وخوفًـا وحقيقةً. أنـه لا إلـه إلا أنـت وأن محمـد عبـدك ورســـولـك وإني أنـا عبـدك الحقير والضــعيف والذليل.. أومن بك ربًا وإلالهًا وأومن أنه لا ملجئ لنا إلا إليك.

- يا عبدي كيف آمنت بي؟

ربي عشـــتُ كثيرًا في عنايتك ورعايتك نعم كنتُ أشـــعر أنك معي وإن كنتُ لا أراك. لطالما دعوتك فلبيت دعوتي. وجئتُك مكســـورًا فرممتني. ورأيتني باكيًا فأفرحتني. ومخطئًا مغرورًا فســـرتني. أنا ذلك الـطـفـل الـذي تـأذت ذراعـهُ وهـو يـجـري نحو المسجد ليرفع بصوته اذانُ صلاة المغرب. أنا ذلك الفتى الصغير الذي أعتكف في العشر الأواخرِ من شهر رمضان وبعد تلك الليالي لم يستطع النوم بعيدًا عنك.. كان أكثر قربًا منك. تمنيت أن لا تنتهي لأنني حقًا شعرت بلذة عبادتك. أنا ذلك الشاب الذي الرضيع الذي كان يسمع صوت أمه وهي تقرأ آياتٍ من كتابك الكريم. وأنا أبنُ من كنت أراها واقفة لا أعرف لماذا تقف طويلاً دون حراك..!؟

أرها تحرك شفتاها وتُتُمتم ثم تجلسُ على الأرض.!
وأذ هي كانت تصـــلي وتعبدك يارب.. أنا ذلك الولد الذي يرى والدهُ مستيقظًا لصـــلاة الفجر ويراه وهو يُـذكِّرُ أخوانُــه بـك ويَـدعُو إليـك ويقول بـأنـك رب جميل و رحيم بعبادة.. أنا ذلك الأخ الصـــغير الذي يرى أخوته يصـــلون لك كل يوم خمسًـــا ولم يفطرون يومًا دون عذر... أنا ذلك الذي عاش كل هذا العمر في تلك العائلة! وفيها عقوبة من يقول كلام ســـيء أو لا يليق.. كـالعلن هي جريمـة.. لم أســمعها يومًا في منزلنا ولا قلتها مزحةً يومًا.. ما كنت سمعتُها يوما لو لم نكن نخالط ذلك الحيّ.. يا الله أنا ذاك الذي رأى السعادة في منزلهم لأنهم متوكلون عليك وملازمون لعبادتك. آمنت بك من رسولي الذي عرفني برسولك فآمنت بك وبه.

فعشتُ حياتي فشاهدت فتعرفت عليك دون نبي ولا رسول فآمنت بك. ودرست فعرفتُك فآمنتُ بك.

وقرأتُ كتابك فرأيتُك فآمنت بك.

آمنتُ بك عبدتُك رباً وإلالهاً ثم أذنبت

فتُبت فقبلت ثم أذنبتُ فذكرت فتبتُ.

- مذهبي في الحياة!

إن مذهبي في الحياة بكل تلك البساطة؛

الابتسامة هي مذهبي التي لا مسيرَ لي في طريقٍ

دونها في السراء والضراء.

لســت أدري ولســت وحدي من ليس يدري! ومن ذا الــذي ينكر؟ اتمنى انني ادري قبــل وقــت رحيلي وأُخلد شـــيء يُذكر.. نظرت إليها ناديتها مهلاً تمهلي مــا زلــتُ هنــا لا تعجلي.. لا تكســـري بخــاطري.. واســـمعي صـــدق مشـــاعري، الآنْ الان أدركت تــأخُري.. وأيقنــت حقــا حمــاقتي فلتعــذري. اتذكري يوماً مضـــى.. جاءك طفلٌ ارعنى.. غريباً يجول في رباكِ.. صــغيرا راجياً رضــاكِ.. شــغوفاً طالباً عُلاك.!

- الحب:

ملاذ التائهين في طريق الحياة، وهو مُولدٌ للسعادة، وباب من أبواب الطمأنينة، الحب ميكروبٌ دقيق يُهاجم القصوة ويقضي على جهاز منظار العيوب، ولا يُرى منه إلا المحاسن والخصال الطيبة، الحب محفزٌ مناعي يولد الشغف والحياة ويُساعد على إنتاج خلايا سرطانية حميدة.

دائماً أوهمُ نفسي بأنني لن أنتظر! وبأنني لن أبالي إن غاب أو حضر. يمُرُ الجميع من أمامي مسرعين.. والآخر يتوقف ويقول هل أنت معي؟

أقول لا إنني أنتظر..

ويأتي الثالثُ ويقول ماذا تفعلُ هنا؟

تفضل معي أوصلك حيثُ تشاء.

أقول لا شكراً إنني أنتظر..

صَعدَ الجميعُ من حولي في المحطة،

جاء النهارُ مسافراً وقال لي: هل أنت معي؟

قلتُ لا ما زلتُ أنتظر..

أقبل الليلُ بخفةٍ.. وجاء بعدهُ أولئك التابعون لهُ.

جلسَ أحدهم أمامي وقال ماذا تفعل هنا؟

لمْ أبالي ولم أجب.. واستمريت في السكوت..

همسَ في أذني وقال هل أنت مِنّا؟ أنت عاشق أليسَ كذلك؟

خَرجتْ أبتسامتي وَكدتُ أن أضحك، ولماذا قد أكونُ كذلك؟ جاءتْ أحداهُنَ فذهبا معًا، قالا: هل تريد الذهاب معنا؟ قلتُ لا معاذَ الله.

بسطُ قدمي على مقعدة الانتظار، نظرتُ إلى ساعتي إنها الواحدةٌ من الليل.. كان الفراغ يصيحُ بتلك الرياحِ الباردة، لو كنتُ أعلم هذا! لأخذتُ لحافي معي، وكانتِ السماء السوداء تتأجج بضوء تلك الرعودُ البعيدة، فليسَ لي منها سِوا الضوء.. إنني وحدي وذلك السكون الذي يقول لي أنت وحدك.. أنت وحدك.. قلتُ لا سيأتي سوف أنتظر سوف أنتظر.

إين أنتي منقذتي..؟

أوتحتاجين كل هذه المدة للوصـل إليّ..؟ ألم تصـابي بذلك الفيروس الفتاك! ألم يفعل بكِ مثل ما فعل بي! ومزق كل خلية تدور في فلكِ أفكاري! لرُبما تكونين أنتي ذلك الترياق الذي يُزيل ذلك السـم الفتاك، وتكونين بلسـمًا على جراحي التي تنزف دون أن أراها أو تُروى لأعين البشـر، لا أشـعرُ سـوا بتلك الأعراض الذي تضـعفُ قدرتي وكاهلي، وتقل تدريجيًا طاقتي ولا مجال لمناعتي الذاتية للصـمودِ طويلاً ولا أرى تشـخيصًـا لهذه الحالة سـوا بعدكِ عني، وتلك المسافةُ التي بيننا. فالعلامات واضحة، النتائجُ سـلبية، فالقوة ظاهرةُ بالانخفاض مع ارتفاع هرمون الاشـتياق، ونقصٌ في بروتينات العلاقات، وذبولٌ في المشاعر بعض الشيء. كل هذا دليل على ما قلتهُ لكِ، أما زلتي غير مقتنعة!

أم أنه يجب عليَّ أن أموت كي تقتنعين؟ أم أنك يا عزيزتي أضعتِ الطريق وأنتِ تبحثين عني! إن طريقي واضحًا يا فقيدتي وليس بتلك الصعوبة التي تجعلكِ تائهةَ لسنين دون أن أعرف عنك شيئًا. ربما أموتُ وأنتي لم تأتي بعد، واللفظُ أنفاسي الاخيرةَ وأنا على مقعدِ الانتظار، ولا أرى سوا الطيور المحلقةَ في السماءِ حرةٌ طليقة، تلعب وتمرح دون أن تشتاق وتنتظر نصفها الآخر لكي يطير بعيدًا في الأفق.

يوماً ما..

سأكون قادرًا على تبرير ما فعلته بك..

ليكن في علمك أنني لم أفعل ذلك بلا سبب

وإنما كنتُ مجبوراً!

عندما أموت سـأبتسـم! ليس لأنني لا أريد الحياة واكرهها؛ ولكنني سـأبتسـمُ عندما أموت، وتفارق روحي جسـدي، عندها لا أملك شـيئٌ أنا، فروحي ضيفةَ ربِها، وجسدي غلى أظهركم. عندما يُلف على جسدي بذلك الثوبُ الجميل.. ما أجملَ تلك اللحظة!

وأنا على ذلك السـرير، صـلوا عليَّ إذا أمكنَّ في ميدان مدرستي، حيثُ كنتُ أقف طوالَ اثنتي عشرة سـنة، سـأكون أمامَ جمعٍ من الناس وكلهم خلفي، مـا أروع تلـك اللحظـة! وأنـا بـاسـطَ قـدَّمـايْ، وأسـمعُ تكبيراتٌ بصـوتٍ يملأه الهدوء والخشـية. أرجوكم لا تتعجلوا مـا بين التكبيرات تريثوا قليلاً، بعد قرأت الفاتحة لا تتزاحموا، يكفي فقط شـخصـينِ من أحبابي يتعبون في ذلك اليوم، لا تُسـاعدوهم. مـا أجمل تلك اللحظـة! وأنـا على أكتـاف من أحب أسمعُ خطواتَ أقدامهم،

لا يُبالون بعثراتِ الطريق، وإن كانت أمامهم أشواكٌ لا يتوقفون. ما أسعد تلك اللحظة!! وأنت تسمع زفراتَ قلوبهم تحنُ لك.. وتشعرُ بنبضاتِ قلوبهم تتوقف لأجلك، حتى ذلك الذي كان لديه موعدٌ مع الطبيب؛ أجله لأجلك، والذي كان لديه محاضراتُ يتعّبُ إن فاتته واحدةٌ، ولكنه أعتذر عن الحضور وأتى لأجلك. ومن كان في مدينة بعيدة، تحمل مشقة السفر وعذاب الطريق وجاء لأجلك. ما أجمل تلك اللحظات! لا أبالي أين ستختارونَ لي منزلي ولا أهتم، فقط أطلب تذكارًا لي على جدرانِ قلوبكم، كلما أتعبَتكم الحياة ومللتم من واقِعكم الكئيب، ترجعون إلى قلوبكم وتنظرون إلى جُدرانهِ، فتتذكرون شرفْ وتخطرُ عليكم تلك الأيام، بضحكة وابتسامة أو بتنهيدة تُعيدُ شريط الماضي.

ها أنا ذا أهيم في ظلام سمائي! وأضعتُ مصباحي وهوَ في يدي إني لا أطيق البُعد فزلاتي تُلازُمني ولا أملٌ من ذاتي..! إني أصارع يا الله بجسمٍ هزيلٍ، وعضلات مُنهَكةَ، أحاول الهروب، ولكن كل ما أراه أمامي هاويات لا يُرى لقعرها مستقر، ولا لظلامها من نور، ولا لفراغها من صوتْ أو حشرجات. إنه طريقٌ موحش تقشعر منه أبدانُ الذين في قلوبهم مثقالُ ذرةٍ من المعرفة فما حالُ من لا يملكون! ما زلت يا الله أفكرُ في ذلك الأمر! ماذا سأفعل وما الذي سيكون؟ نعم لقد تغربلَ ليَّ ما كنتُ أجهلُ من سنين، ولكنني ما زلتُ لا أجيد الطرق الواضحة، وربما أحيانًا أشعر بذلك الشعور الذي يقول لي إنها هنا.. إنها هنا.. ولكن مالذي يَصرفُ عني ذلك النداء بعد لحظاتٍ قليلة من سماعه! هل لأنه وهم وليس حقيقة! أم أنني من أولئك الذينَ غلَبتْهُم أهواهم.

إنــه وهمٌ وســـراب! ومــا زلنــا نركض وَنُهرولُ مسرعين، وكأننا أسودٌ مفترسةَ جائعة في صحراءٍ قاحلة، أو كنســورٍ جارحة، تتخبط بنا الرياح في وادٍ ســـحيق، إن كل تلك الأوهام كاذبةَ أجلُها قصـــير، تموت بين وقتِ كل صلاةٍ وصلاة. أو ما بين غمضةِ عين ورجوعِ طرف، ليس العلــةَ فيهــا ولا فينــا! العلةَ في الطريقة! والطريقة هي الطريق، ولا طريق إلا وله علاماتٌ نهتدي إليه، كل ما على الاسود سوا أن لا تتيه عن غاباتها فلا تضلُ ولا تشقى، وما على الجوارح إلا أن تتحمل حتى تهدأ العاصفة.

هل تعرف كيف تحصـــل على الســـعادة؟ وإن كانت مؤقتة سأقول لك كيف.

عليك بإســعاد الاخرين من حولِك كي تســعد. أمزحْ، أمدحْ، حاول أن تكون مرِحًا، بشـــوش الوجه، بادر ولا تنتظر، قل لشـــيء الجميل أنه جميل، ولشـــخص الرائع أنـه رائع، شـــخصٌ لا تعرفه اطلب التعرف عليه، ســلم على جميع من رأيتهم حتى الصـــغير ولا تتكبر.

وأنا أقول لا شـيء يعجبني! لا شـيء يعجبني.. حتى نسـمات المطر، لا شـيء يعجبني.. لا فصـلٌ الربيعِ ولا اوراق الشجرْ، لا أعذبُ اللحانِ لا صوت الوتر، لا قُرب الحبيبِ ولا ضوء القمر.

وإذا بي وللحظةٍ أخافُ من الجميع ومِنْ بينهم أنتي.. إذْ أرى ظلامُ الليلِ يُحيطُ بي، والاخرونَ يتحدثون هنـــاك في الأعلى وأنتي بجوارِهم تشـــــاهـدين.

نحنُ المتعبون من الحب الشـــاردون عن القطيع في سبيل سرابِ المشاعر، نحنُ المصابون بلعنةِ التعلق فيمـا لا يحقُ لنـا. العـالقين في ذكريـاتِ الأخرين، الغير قـادرين على النهوض من خيبـاتِ الفراق، المنكسرين في معركةِ رغباتِ أنفسهم، الضعفاء أمام أحبابِ قلوبهم. فمن لنا وقد تهنا! فمن لنا وقد سقطنا! فمن لنـا إذا حـلَ الـدُجى، وتـاهـت أرواحنُـا ونحنُ المطفؤون لمشكاةِ ضمائرهم!.

سـأقتلُ كل تلك الحمامات البريئة وسـأمزقُ أطياف الصوت في هذا العالم وأرميها على شواطئ البحور لتغرق! سـأخطفُ إحدى تلك النجوم وأطحنها بيدي وأسدّ بفتاتها هواء هذا العالم! أريد حرمان الحروف من صفاءِ تفكيرها المخبول أريد اشعال النار في غابات العالم أن أشمَّ ريح عبيقها يتصاعدُ مع لهيب نورها نحو السماء. سـأحرقُ الوقت بنيران القوة سأتكبرُ حتى تسمع لصوت النفسِ ضرباتُ زلزالٍ فوق هذه الأرض! أن أجري بعيدًا بعيدًا على هذه الصحراء وأن تغرق قدمي في رمالها فأغضب حتى أصيح ملئ هذه الكون لينطفئ لونها الممزوج بأكاذيب الأخرين اشباهي.

رسائل إلى المستقبل
شرف الدين الشريف
"شرشبيك"